ولا هذا أيضا

وكما أجاد[1] الفرزدق فى تصوير صديقى عبد الرحمن عزام فى قوله :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنّا إذا ما نجهل

فقد أجاد الحارث بن عبّاد تصوير صديقى المازنى حين قال :

لم أكن من جناتها علم الله وإنى لحرها اليوم صالى

فصديقى المازنى لم يثر هذه الفتنة حول تلك الجملة القصيرة التى اقتطعها صديقى عزام من فصل طويل ، ولم يجلب فى هذه الحرب أول الأمر بخيل ولا رجل حتى إذا شبت النار ، وارتفع الغبار ، ثار ثم طار وإذا هو فى الميدان يطلب الضرب والطعان .

وقد ثار المازنى للدفاع عن حرية الرأى ، ولكنه أخطأ طريق هذا الدفاع فرمى صديقه بالزلل والخطأ اللذين ليس فيهما شك . ثم أخذ يدور حول هذا الزلل وهذا الخطأ ، يلتمس الهفوة . فلست معصوما

---

(١) ١١ - ٩ - ١٩٣٣

من الخطأ ولا مبرأ من الزلل . وما كان لأحد من الناس أن يرى العصمة لنفسه ، ولكن ما ذنبى إذا كنت لم أخطىء فى هذه المرة ولم أزل . وإنما صورت الحق الذى لا يقبل شكا ولا يحتمل جدالا ، ولا يغفل عنه إلا قوم ليس لهم عشر ما للمازنى من العلم والثقافة ، أو قوم آخرون يعلمون ثم ينكرون ، ويرون الحق ثم يعرضون عنه ، لأن لهم حاجة من وراء هذا ، لا يستطيعون أن يسلكوا إليها صراطها المستقيم .

وأحب أن أؤكد للمازنى مخلصا أنى أرفع ما بينه وبينى من الصداقة عن جد الخصومات وهزلها ، وعما كان منها صريحا واضحا ، وما كان منها ملتويا غامضا . وإنه مهما يقل فىّ مصرحا أو ملمحا فلن يبلغ ذلك من مودتنا شيئا . فأنا أعرف – والحمد لله كيف أقدر ضعف الناس .

وقد كنت أحب ومازلت أحب لصديقى المازنى ألّا يخلط بين من يقول له لم يخطىء ومن يقول له ليس بينى وبين الخطأ سبب ولا سبيل ، ذلك يقرر الحق ، وهذا يدعى لنفسه من العصمة ما ليس للناس . فليعلم المازنى ، وليعلم عزام ، وليعلم من يظاهرهما من المصريين ، وليعلم السوريون أيضا أنى مازلت عند رأيى الأول ، لا أغيره ، ولن أغيره لأنى لا أحب ، ولا أستطيع ، ولا يستطيع أحد تغيير الحق مهما تكن الظروف .

وأخرى أضحكتنى من « البلاغ » وأريد أن أعتقد أنها لم تصدر عن المازنى ، فهو عندى أكبر منها . فقد زعمت « البلاغ » أمس أنى

أخذت منها ما كتبت به إلى السوريين دفاعا عن حرية الرأى . وكم كنت أحب أن أعترف للبلاغ بأنى أخذت منها واستعنت بها على هذه القضية المعضلة ، قضية الرأى وحريته ، فإنى لا أكره أن أسر البلاغ إن وجدت إلى ذلك سبيلا شريفة معقولة ، ولا أتحرج أن أستعين بكاتب بارع كصديقي المازنى إن وجدت حاجة إلى معونته ، ولكنى آسف أشد الأسف لأنى كتبت إلى « فتى العرب » يوم الأربعاء قبل أن تكتب البلاغ ما كتبت ، وأخرت نشر الكتاب يومين أو ثلاثة أيام حتى يصل الكتاب إلى دمشق ، ثم ينشر فى مصر بعد ذلك . فإذا كانت البلاغ فى حاجة إلى من يشهد لها بذلك ، فإن الشهود أحياء يرزقون ، وهم قادرون على تأدية الشهادة ، لا يترددون فى ذلك قليلا ولا كثيرا .

وبعد فلم أقل فى كتابى إلى « فتى العرب » يوم الأربعاء ، ولم تقل البلاغ فيما كتبت يوم الخميس شيئا طريفا فذا ، يحسن الاختصام فيه : أينا سبق إليه . وإنما قلت يوم الأربعاء وقالت البلاغ يوم الخميس ، أوليات شائعة بين الناس ، من المحزن أن نحتاج إلى تقريرها ، فضلا عن أن نزعم لأنفسنا ابتكارها واستكشافها

فلتطمئن البلاغ ولتخفف من غلوائها ومن اعتدادها بنفسها فإن الله – عز وجل – لم يقصر عليها العلم بالبسائط والأوليات ، وخير للبلاغ أن تمضى فى سبيلها ، لا تنحرف إلى يمين أو إلى شمال ، ولا تقف عند أشياء تعلم حق العلم أن الوقوف عندها لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يرضى الحق ولا المنفعة ، ولا الضمير على أية حال .